البيئة التنظيمية و عقلنة الفعل العمالي في ضوء المقاربة السوسيولوجية

أ. القيزي عبد الحفيظ

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد اللّه. الجزائر

ملخص:

يتفاعل الانسان مع الظروف المحيطة به بصفة عامة, وبالتالي فإنه عادة ما يستطيع يكيف ظروفه تبعا لنوع الظروف التي تحيط به والفرد العامل داخل المنظمة يتأثر بالبيئة التنظيمية خاصة في شقها الداخلي حيث تشكل باعثا أساسيا في تحقيق طموحاته وتعزيز آفاقه المستقبلية, وعليه فالبيئة التنظيمية تشتمل على مجموعة الأعمال والإجراءات الفنية والادارية والتقنية التي تهتم بدراسة الظروف المناخية والنفسية والاجتماعية السائدة في أماكن تنفيذ الأعمال داخل المنظمة وقد تعددت تعاريف البيئة التنظيمية تبعا لاختلاف مشارب وتوجهات الباحثين . وعليه فاستعمال مصطلح البيئة التنظيمية هو استخدام مجازي من الناحية اللغوية لتأكيد النظرة للمنظمات على أنها كائن عضوي يؤثر ويتأثر بالمحيط المتواجدة فيه .

الكلمات المفتاحية: **البيئة التنظيمية؛ الفعل الاجتماعي؛ العقلنة؛ المقاربة السوسيولوجية.**

Abstact :

Human beings interact with their surrounding conditions in general; therefore, they usually can adapt their circumstances according to such conditions. The working individual within an organization is to be affected by the organizational environment mainly in its internal aspect which acts as a significant incentive to achieve his ambitions and optimize his future aspirations. The organizational environment is a whole range of practices and technical and administrative procedures that deal with examining the psychological and sociological conditions prevalent in spaces of executed tasks with the organization. A plethora of definitions of the organizational environment have been devised reflecting the diversity of researchers' inclinations and approaches; therefore, term ' organizational environment' can be seen as an organic entity that affects and be affected by the existing environment.

key words**: **organizationl environment**; **social action**; **rationalization**; **sociological approach.

1- مفهوم البيئة التنظيمية :

وتعرف البيئة التنظيمية بأنها كل ما هو خارج إطار التنظيم بما في ذلك الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ..الخ التي يعمل فيها والبيئة الأكثر تأثيرا على التنظيم بشكل مباشر بدءا بالمناخ التنظيم داخل المؤسسة والأطراف ذات العلاقة مع التنظيم كالزبائن والنقابات وغرف التجارة والصناعة..[1]

يعرفها البصام " هي جملة الظروف والعوامل المحيطة بالموظف سواء كانت تلك العوامل داخلية أو خارجية والتي لها علاقة مباشرة وغير مباشرة بالعمل ومدى تأثير هذه الظروف والعوامل على أداء الموظف سلبا وايجابا"[2]

أما قاسم القريوتي فيعرفها بأنها " القيم والاتجاهات السائدة في التنظيمات الادارية ومدى تأثيرها على السلوك التنظيمي للعاملين وعلى جملة العمليات الادارية بالمنظمات"[3]

إضافة لذلك فمصطلح المناخ التنظيمي يحمل نفس الدلالة ولكن بشيء من التخصيص فيعرفه **القريوتي** بانه " انعكاس لخصائص بيئة التنظيم في وعي ولا وعي العاملين فيه , مما يدفع الفرد إلى اختيار تصور معين حول التنظيم , يتميز بالثبات النسبي ويحدد سلوكهم التنظيمي"[4] أي أن المناخ هو الشق الذي يمثل البيئة الداخلية لبيئة العمل إذ هو الخصائص والمميزات التي يعمل الفرد ضمنها وتؤثر على وعي العاملين ومدركاتهم وتتمتع بدرجة عالية من الاستقرار والاستقلالية النسبية عن المحيط .

من خلال هذه التعريفات أن توفر بيئة تنظيمية ملائمة ومرنة لها انعكاس على أداء العاملين ورفع انتاجيتهم ولا يكون ذلك إلا بمعرفة المتغيرات التي لها أثر على فعالية المنظمة أي أن البيئة التنظيمية تختلف باختلاف مجال العمل ونوع الخدمات التي يقدمها التنظيم لان في المستوى التنظيمي تختلف تصورات العاملين تبعا لمستواهم في السلم الاداري واستعداداتهم الثقافية التي تهيئهم للتصرف إزاء وضعيات العمل وكذا الظروف الاقتصادية والخلفية الاجتماعية, ومن هنا يتضح بأن المنظمات لابد ان توجه الجهود الفردية والجماعية لتحقيق الموائمة مع البيئة وان تأخذ المتغيرات الآنفة الذكر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية عند صياغة خططها واتخاذ قراراتها فالاهتمام بتحقيق الأهداف التنظيمية مراعاة تشابك وتعقد الحياة الاجتماعية التي تؤثر على نسق المنظمة.

2- **البيئة الداخلية والخارجية**:

أ- 1. البيئة الداخلية: تتعلق بالمنظمة من حيث الاطر الادارية والفنية العاملة فيها والانظمة الرسمية وغير الرسمية والهياكل التنظيمية والتكنولوجيا وأنماط الاتصالات ,أما البيئة الخارجية فتشمل جميع المتغيرات التي تقع خارج اطار المنظمة ذاتها.[5] هذه المتغيرات هي النظام السياسي والتربوي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي , أضافة الى الجوانب الاقرب صلة واليت تتفاعل معها المنظمة كالمجهزين والمنافسين والوكلاء

والزبائن والتطور التكنولوجي وتقلبات السوق وطبيعة المناخ التنظيمي السائد في اطار العلاقات الاجتماعية التي تتصف بالثبات النسبي.

ومن هنا أن العناصر الرئيسية الحاكمة في البيئة الخارجية لأي منظمة تتمثل في:

أ- 2 / الموارد المختلفة: مادية , بشرية, معلوماتية, مالية.

أ-3 / المجهزون: وهي الجهات والأفراد , جماعات, منظمات التي تعمل على تجهيز المنظمة بحاجاتها من المواد المختلفة أولية , نصف مصنعة,تامة الصنع

أ-4 المستهلكون: وهذه الجهات هي أفراد أو جماعات أو منظمات التي تقوم باستخدام منتجات وخدمات المنظمة ."[6]

هذه العناصر هي التي تحكم سير المنظمة وتؤدي الى نجاحها - إن استطاعت التحكم وحسن استغلالها -, وهذه تسمى البيئة الخاصة وهي ذات تأثير مباشر على المنظمة لأن الافراد والجماعات يتفاعلون بشكل مباشر خاصة الجانب القانوني المنظم للاطار الذي تتواجد فيه المنظمة.

فتحليل البيئة التنظيمية يحقق فوائد منها إذ تساعد المنظمة على[7] :

1- معرفة وتوضيح النطاق الذي تنافس فيه المنظمة و معرفة المنافسين بشكل واضح ودقيق مما يؤدي إلى مساعدتها على وضع استراتيجية ناجعة

2- معرفة عوامل النجاح الرئيسية والحرجة وتطوير أدوات التقييم المستخدمة في تقييم الأهداف الخاصة المنظمة.

3- **أبعاد البيئة التنظيمية الخارجية**:

نظرا لأهمية البيئة صار من الضروري على المؤسسات الحرص على معرفة محيطها حتى تتمكن من التكيف والاستجابة للمتغيرات, لان المؤسسة عند اعدادها لاستراتيجيتها فإنها تحتاج لتشخيص بيئتها الخارجية والداخلية من خلال معرفة قدراتها, ويقصد بالتشخيص الخارجي

"هو معرفة الوضع الحالي والاضاع المستقبلية المحتملة لهذا المحيط الذي تنمو وتنشط فيه وتجنب المخاطر والتصدي لتهديدات أو التعامل معها بطريقة معينة "[8]

ولكي يتم التشخيص الخارجي سنحرص على أن يتعلق هذا لكل أبعاد البيئة ومستوياتها السياسية والاقتصادية والسوسيوثقافية والتكنولوجية.

شكل 01 يوضح أبعاد البيئة الخارجية للمؤسسة

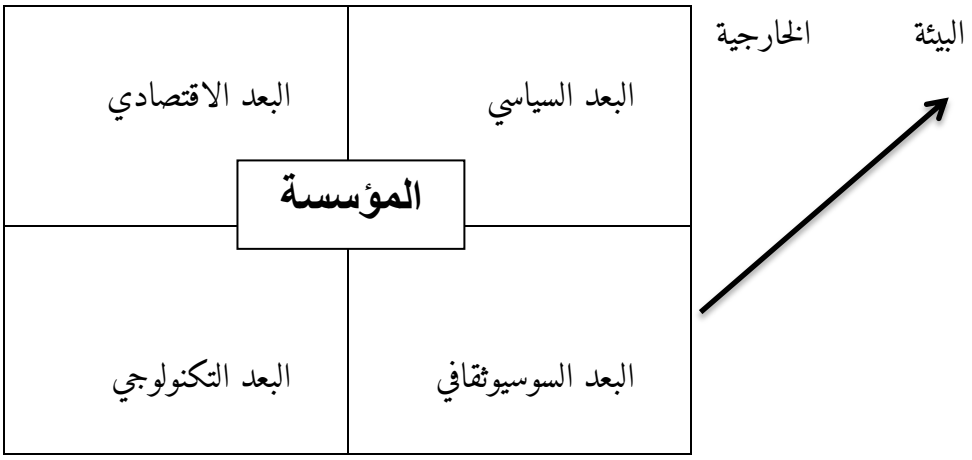

يحتوي البعد السياسي على القوانين والاستقرار السياسي والايديولوجية التي تتباناها وخططها من الأساسيات التي المؤثرة على المنظمة لان ممارسات الفاعلين في الحقل التنظيمي تتأثر بالنظام السياسي وفلسفة الدولة التسييرية. أما البعد الاقتصادي فيتعلق بمختلف أوج نشاط المؤسسة والتي لها علاقة مباشرة كندرة أو وفرة المواد الأولية ومستوى الأسعار والمنافسة وحركة العرض والطلب وكذا التمركز أو التشتت الموقعي إضافة لوجود اليد العاملة كلها تؤثر على فعالية المؤسسة أما البعد الاجتماعي فإن البناء الاجتماعي والعلاقات السائدة فيه والأعراف والتقاليد تؤثر على سلوك الأفراد فالمجتمعات النامية تتسم بسيادة العلاقات القرابية القائمة على الروح القبلية والعشيرة وهذه من شأنها التأثير على نمط القواعد الرسمية للتنظيم أما المجتمعات المتقدمة فهناك سيادة للنمط العائلي إلا أنه يعتبر عامل بناء واستمرار مثل المجتمع الياباني حيث استثمر التماسك العائلي والثقافة الاجتماعية اليابانية في تطوير قيم العمل وتحسين وجودة أداء العاملين, فالعناصر السوسيوثقافية كروح العائلة والتيارات الدينية والسلوكات والقيم هذه العناصر تؤخذ بعين

الاعتبار من قبل المؤسسة" و لتحديد التأثيرات الاجتماعية الثقافية : المعطيات الديموغرافية كالسن والجنس مكان الاقامة الحالة العائلية ...والاخذ بعين الاعتبار الجانب الديناميكي المتعلق بالهجرة الريفية نتيجة النمو الصناعي غداة الاستقلال خاصة في الجزائر وتوسع المدن "[9] لذلك فكلما قل تتدخل الدولة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمنظمات كلما كانت المؤسسات أكثر حرية ومرونة في اتخاذ قراراتها وخلق التوازن والتكيف والاستجابة للمتغيرات .

4- التفاعل بين البيئة والتنظيم :

تختلف البيئات التي يتواجد فيها التنظيم تبعا لمجال النشاط وقطاع السلع والخدمات التي ينتجها التنظيم والمنافسين والموردين وتوفر المواد الأولية واليد العاملة, إضافة الى خصائص المؤسسة ورسالتها والثقافة التي تتبناها هذه الأخير تتميز بالاستقلالية النسبية وتعكس طبيعة النظام السياسي والاجراءات الرقابية وطبيعة منظومة القيم الاجتماعية, هذه تعتبر عوامل موجهة للسلوك الاجتماعي للعاملين فيها, وتتمايز البيئات التنظيمية من حيث نمط "الهيكل التنظيم الذي يتحدد تبعا للقطاع الذي يتواجد فيه التنظيم لانتاج السلع والخدمات لخدمة قطاع محدد من المستهلكين في ظل توفر معلومات تساعد على معرفة احتياجات المتعاملين (زبائن وعملاء التنظيم) مما يترتب عليه فهم خاص بالبيئة الذي هو مجرد جزء من اتلبيئة الموضوعية مما يتوجب تحديد طبيعة النتائج والمدخلات ."[10]

5- التناول السوسيولوجي للعقلنة :

إن كلمة ضخمة مثل العقلنة أو الحركة العقلانية , مثل غيرها من الكلمات المشابهة لها يمكن تعريفها بدروب شتى متباينة, وسوف نحدد معناها هذه المرة في ظل السياق السوسيولوجي, بعد التناول الفلسفي , أنها بصورة عامة مجموعة من الأفكار تفضي إلى الاعتقاد بأن الكون يعمل على نحو ما يعمل العقل حين يفكر بصورة منطقية وموضوعية, فالقدرات العقلية التي سمحت للإنسان صنع الآلات وفهم المشكلات الرياضية المعقدة بإمكانه أن يفهم ويكتنها الموجودات في الكون.

إذن حسب التصور الفلسفي العقلانية "اتجاه في الفلسفة والابستمولوجيا يقول بأولوية العقل في بناء المعرفة, وتدافع العقلانية عن الطابع الثابت والمطلق للعقل, وتعتبره الوسيلة القادرة على بناء المعرفة في استقلال تام عن الحواس والملاحظة ."[11]

أي أن المعرفة عملية عقلية يتم في ضوئها انتاج المعرفة, اعتماد على أولوية الاستدلال الاستنباطي بدل الاستدلال الاستقرائي أي هي اتجاه منافي للاتجاه التجريبي في انتاج المعرفة, لأن المفاهيم فطرية في العقل على شكل استعدادات مسبقة

فمفهوم العقلانية حسب معاجم علم الاجتماع لم يعرف تباين بالرغم من اختلاف الرؤى والتصورات حولها إذ يوجد شبه إجماع على دلالته, إذ أنه تم ربطها أكثر في تفسير السلوك والفعل الاجتماعية ودلالته في الحقل الاجتماعي في ضوء فهم الأنا والآخر سواء كان فرد أو جماعة, ومنه سوف نعرض ضروبا من التعاريف حول هذا المفهوم من أجل كشف اللبس حوله هذا من جهة, وتأصيل الموضوع سوسيولوجيا من جهة أخرى .

1-5 / **العقلنة** :

في علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية عموما هناك العديد من النظريات حول العقلنة وإجراءات العقلانية، لكن أشهرها على الإطلاق، وبمراحل نظرية ماكس فيبر حول عقلانية الغرب، والحواجز التي تواجه هذه العملية في أجزاء أخرى من العالم . [12]حيث ميز فيبر بين أربعة أنماط :" **العقلنة العملية والعقلنة التنظيرية, العقلنة الجوهرية, العقلنة الصورية**"[13] وهي موجودة في كل زمان ومكان عبر التاريخ وهي مرتبط بالبحث عن تحقيق الغايات والأهداف **والعقلنة التنظيرية** بالقدرات والجهود لتحقيق التميز المعرفي أما **العقلنة الجوهرية وتشمل البحث عن الوسيلة الأنسب لتحقيق الغايات إلا أن** دليلها في هذه المرة هو مجموعة واسعة من القيم الاجتماعية, وقد اهتم تركيز فيبر على **العقلنة الصورية (الرسمية)** إذ أنها حسب فيبر هي ما يميز العالم المتقدم – الغربي – وتتمثل بالبحث عن الوسيلة الأنسب لتحقيق الغاية, غير أن مرشدها هو القواعد والنظم[14],

والعقلنة مرحلة تاريخية فسرها فيبر بطرق منهجية معتمدا على السلوك الذي توجهه القواعد إلى الاهتمام بظاهرة البيروقراطية وهو بذلك يقدم نموذجا حضاريا ومسارا لحداثة المجتمعات الغربية ويفسر ذلك فيبر في مؤلفه الأخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية أين أثرت الأخلاق الدينية للمذهب البروتستانتي على نمو العقلنة في الغرب .[15]

من خلال هذا نجد أن النموذج المقدم لتفسير العقلنة من قبل فيبر أثر على العديد من العلماء في الحقل السوسيولوجي من أهمهم **تيودور أدورنو ويورغن هابرماس** وقد زاد الاهتمام اليوم بهذا المفهوم خاصة ما تعلق بظواهر تنظيمية جديدة: الماكدولنالدية، والكوكالية، وغيرها ... وهذا لوصف مظاهر مجتمعات ما بعد الحداثة والثورة الثقافية في أواخر الستينات التي عرفتها المجتمعات الغربية من تغير في المفاهيم وأنماط العيش وغيرها.

فمفهوم العقلانية استعمل من قبل العلوم الاجتماعية بمعان عدة ,فالفعل يسمى عقلانيا في تراث العلم الاقتصادي, كما أفصح عنه على الأقل فلفريدو باريتو في (رسالة في السوسيولوجيا العامة). نقول إن الفعل يكون عقلانيا وموضوعيا متى تكيف مع الأهداف التي يسعى إليها الفاعل .فالعقلانية تفسر في هذه الحالة تكيف الغايات مع الوسائل. أما رجل الاقتصاد الحديث فيعرفه من ناحيته السلوك العقلاني بصفته اختيار الفرد للفعل الذي يفضله من بين كل الأفعال التي تتوفر له إمكانية إنجازه .[16]

أما في علم الاجتماع فإن مفاهيم العقلانية بالنسبة لمفهوم الغايات **Zweckrationell** عند فيبر أضفى عليها صبغة عقلانية. والفعل المنطقي عند باريتو, والأداتي كما عبر عنه بارسونز ,تحركه الدوافع وهذا ما عبر عنه أيضا شوتز , إذن فالمفهوم هو عمليا مترادفات تدل كلها على فعل يكيف الغايات التي يسعى إليها. [17] فمثلا فيبر الفعل بالنسبة إليه يتكيف مع القيم , فمثلا تضحية الشاب الفلسطيني بعملية استشهادية هي عقلانية بالنسبة للقيم التي يكتنفها المجتمع المتواجد فيها وينطبق كذلك على المقولات على أنها عقلانية –العملية الاستشهادية- عقلانية ـ أو غير عقلانية إذا كانت متطابقة مع المعرفة العلمية أو بالأحرى العقل العلمي.غير أنه يمكن أن نطرح سؤال حول تصورات الفاعلين حول الأساطير والمعتقدات خاصة في مجتمعنا والتي تظهر في سلوكات الفاعلين هل هي عقلانية أم غير عقلانية ؟ نقول أنه في بعض الأحيان والظروف

تكون عقلانية إلى حد ما بالنظر المعرفة والسياق السوسيو ثقافي والتاريخي بيد أن الملاحظ والمتأمل الخارج عن تلك الجماعة يحكم عليها على أنها غير عقلانية راجع لخلفيته الثقافية والذهنية وهذه الحالة النفسية, وبالتالي فالأساطير أو المعتقدات هي نتيجة لرد فعل عكسية ناتجة من البناء الاجتماعي و تفاعل أفراده فمن جهة نظرية الفعل أن الأساطير تصورات ومعتقدات الأفراد هي استجابات متكيفة مع الوسائل المتاحة لتحقيق غاية ما مع الأخذ في الاعتبار قابلية التباين الاجتماعي .

فمصطلح عقلانية أخذت يتغير في دلالته اللفظية إذ يوجد من يصطلح عليها معقولية / عقلية نخليل أحمد خليل وهذا عند ترجمته للمصطلح الأجنبي نحو العربي غير أنه كما قال مالك بن نبي في كتابه مشكلة الثقافة :" أن هؤلاء المؤلفون يعلمون دون ريب ما يفعلون , حين يقرنون الكلمة العربية بنظيرتها الأجنبية فإن معنى هذا أنهم يدركون أن الكلمة لم تكتسب بعد قوة التحديد في اللغة العربية ." [18]أي أن غياب التحديد الضروري لمفهوم عقلانية على اعتبار أن هذا الاصطلاح هو الأكثر تداول بين الباحثين, هذا ما يفسر لنا أنها بحاجة الى كلمة أجنبية تقرن بها لتوضح المراد منها أي كما قال بن نبي كلمة في اللغة العربية تحتاج إلى عكاز أجنبي.

فالأستاذ خليل أحمد خليل يرى أن التفريق الحديث بين العقلي واللاعقلي كما تناوله يخلفُ التفريق الكلاسيكي بين المنطقي واللامنطقي, أي الأفعال العقلية/المنطقية أي تلك التي تتميز بتوافق الغايات مع الوسائل فباريتو يضعها في عداد الأفعال التي لا يمكن تفسيرها بالعادات والمعتقدات أو الدوافع الغريزية... فنظرية الألعاب والنظرية السوسيولوجية والنظرية السياسية تتلاقى عند مقترح ابستمولوجي وهو أنه لا يوجد تعريف عام لمفهوم العقلانية (معقولية /عقلنة/عقلية).[19] ويعرفها **دينكن ميتشل** بانها ذلك التفكير والسلوك الواعي الذي يتفق مع أحكام المنطق والمعرفة التجريبية والذي يتسم بأهدافه المتماسكة والمتزنة التي يمكن تحقيقها من خلال الموضوعية العلمية وفي السوسيولوجيا البريطانية استعمله البروفسور **هوب هاوس** في سياق نظرية للتقدم البشري واعتبره مبدأ عضوي لتحقيق التوازن بين النواحي الاجتماعية .[20]

وبذلك فالعقلنة تحدد على أنها" ترتيب بنية العناصر أو السلوكات أو الممارسات المختلفة بطريقة تجعلها متطابقة مع مبادئ ومقتضيات العقل في معناه الواسع "[21]

فالسلوك الرشيد أو المعقول هو كل ما يستند إلى التفكير المنطقي لا الانفعال, فالسلوك الاجتماعي يتم الحكم عليه عندما يتسق مع الأنماط المنطقية للفر الذي يربطون بينه وبين موقف معين , "فالعقلنة في الجانب الاداري نقصد بها المزيد من التقنين والاتساق داخل التنظيم أو هو ذلك السلوك الموجه نحو تحقيق أهداف محددة في الاطار المفروض عليه ."[22]

6- الفعل في ظل المقاربة السوسيولوجية

6-1/ المقاربة كممارسة نظرية ومنهجية لبناء الأشكال السوسيولوجية :

إن النظرية والمنهجية في علاقة دائمة في البحث السوسيولوجي, إذ يتم تجسيد ذلك بوساطة المقاربة والتي تزاوج بين المفاهيم النظرية وقضاياها و والمراحل المنهجية المتبع في البحث خاصة الجانب الميداني منها وهذا ما عبر عنه **ريمون كيفي وكمبنهود** في كتابه دليل الباحث وما أسماه بالمسار في المرحلة الثانية منه L'exploration **الاستكشاف والتي لها علاقة مباشرة في بناء الاشكالية** وتتكون من : **القراءات** ⇄ **المقابلات الاستكشافية**[23]

ومن خلال هذا يسعى الباحث لإيجاد العلاقة أو التكامل بين الفروض والواقع الملموس عن طريق النظرية, " يتضمن نموذج النظرية مجموعة من المفاهيم المرتبطة بتفسير الظواهر الواقعية وهذه المفاهيم يمكن صياغتها في نسق محدد من المصطلحات العلمية المستخدمة في كل تجربة, وهذه المصطلحات تتميز بالتقارب والوضوح في المعنى ."[24] أي أن المفاهيم المتحصل عليها من المقاربة النظرية تفسر جزءا على الأقل من الظاهر محل الدراسة وليس جميع الأجزاء وهذا اعتمادا على الأسس المنهجية للدراسة الميدانية .وفي هذه الحالة نصبح أمام مواجهة تحد ألا وهو التوافق بين المستوى المفاهيمي والإجرائي أي كيف ننتقل من المستوى المفاهيمي النظري إلى المستوى الإمبريقي ؟ وهنا على طبيعة الحال لا يوجد مؤشر مطلق يدل على تحقق التوافق والتطابق , مما يضطر الباحث إلى محاولة تحسين هذه التعاريف لأن بعض المفاهيم مثل الاغتراب , العقلانية , الشرف , الكرامة...الخ ,لا يمكن ملاحظتها بشكل مباشر أو غير مباشر لأن العلماء " لا يقيمون المفاهيم العلمية من ناحية قابليتها للملاحظة وحسب, وإنما من ناحية معناها النظري أي أن بعض المفاهيم تكون ذات معنى إلا ضمن سياقها النظري فقط ."[25] فالمقاربة النظرية لا ينحصر دورها وحسب في أنها مصدر لتوليد إشكالية البحث, بل في في تفسير

المفاهيم المفتاحية وإنشاء روابط مع الشق الإمبريقي . إضافة إلى التمييز بين متغيرات الظاهرة الاجتماعية وغيرها من الظواهر النفسية أو التقنية موضوع الدراسة والبحث " تفترض المقاربة إمكانية تمييز المتغيرات الاجتماعية والمتغيرات الطبيعية أو التقنية. ومن دون هذا إمكانية الفرز بين ما هو اجتماعي وما ليس كذلك, فإنه يستحيل إعادة تكوين مجال القوى الكامن تحت المظاهر."[26] ويكون فرز هذه المتغيرات الكامنة ليس بإعطاء وصف فقط لمرفولوجيا العقلنة الفعل في الحقل التنظيمي بل الأخذ في عين الاعتبار الأبعاد السوسيوثقافية والمعرفية الخاصة بإنتاج هذا العمل العلمي, فلو تجاوزنا هذا المسار وتشبثنا بفكرة الوصف الظاهري فإننا بذلك نعطي تصورا غير سوسيولوجي محض أشبه ما يكون بوصف سرعة قطار أو ضوء القمر كذلك التعرض لمرفولوجي التفاعل الاجتماعي بين عناصر الظاهرة والاسباب الكامنة خلفها.

إذن المقاربة السوسيولوجية تولد المعرفة العلمية لعقلنة الواقع بواسطة عملية القطع لإعادة تشكيله ولا يتأتى ذلك إلى ببناء نماذج وأنماط نظرية, وهذا بغية استنطاق الظاهر محل الدراسة وفي السوسيولوجية يعتمد النماذج [27]التالية:

أ - النموذج التصنيفي : يشير إلى المفاهيم ويحدد قيامها ويميز فئاته.

ب-النموذج التنظيمي : تبسيط التصورات وتنميط العلاقات بين المتغيرات .

ج-النموذج الاحتمالي: يساعد على عقد التنبؤات وإن كانت غير تامة.

د-النموذج الارتباطي : يكشف عن انتظام حدوث الظاهرة .

والنماذج في علم الاجتماع يمكن فهمها كوسيط بين المفاهيم و الأنساق النظرية والأدوات المنهجية .

فالنماذج حسب كابلان هناك نموذجين الأول نمطي متعلق بتفسير العنصر الثقافي أو الاجتماعي عند ربه بعناصر أخرى أما النمط الثاني وهو الاستنباطي يوضح العلاقة بين المقدمات ونتائجها وهذه العلاقة قد لا تكون سببية دائما بل غائية وقد تكون وظيفية فالنمط الأول متعلق بالاستكشاف والثاني متعلق بالتعميم, فالممارسة النظرية كما يراها لويس ألتوسير لا تنفصل عن

المنهج باعتبارها سيرورة فكل عمل نظري يتطلب توفر مادة خام معطاة مفاهيم وطريقة استعمالها (المنهج). [28]

2-6/ القوة وصياغة المعنى في الفعل الاجتماعي:

إن تفسير الوقائع الاجتماعية, يعني إعادتها إلى الأفعال الفردية التي تتكون منها سواء أخذت هذه الواقعة حدث أو معطى رقمي في مصفوفة إحصائية هي معبر عن الأفعال الفردية في سياقات مختلفة, فعلى سبيل المثال ردود أفعال الكائن الحي هي استجابة للعوامل البيئية المحيطة, وفي هذه الحالة نقصد بالسلوك في شقه الغرائزي هو ذو علاقة أكثر بالحيوان. أما الفعل في الوهلة الأولى يشير إلى كل ما يمارسه الأفراد سواء على المستوى الفردي أو الجماعي في شقه الثاني والذي تحركه دوافع وليدة التنشئة الاجتماعية واستعدادات الفرد في السياق الاجتماعي والثقافي والاقتصادي, فالسلوك الذي يتحرك بدافعية ووسائل توجهه نحو مراميه ,نعتبره عقلانيا هذا الفعل يتحدد في إطاره الاجتماعي في فهم الأنا للآخر وفي ظل المعاني والمعايير و القواعد المقبولة اجتماعيا, والقصدية التي يخلعها الفاعلون مع الأخذ بعين الاعتبار الجاني المرفولوجي للفعل دون التقيد بالجوانب الظاهرية, لأنه نواة أساسية في التفاعل الاجتماعي. فلتفسير الفعل والقدرة على الفعل يوجد مدخلان الأول هو مدخل البراغماتية والتفاعلية الرمزية أما المدخل الثاني يشمل الكانطية و الظواهرتية فالاتجاه الأول "أكد على الابداع والتأمل في عملية التفاعل أما **شوتز ولوكمان** وبيرغر فلفتوا إلى مخزن الأفكار المسبقة التي يحملها الفاعلون. أما بورديو وغيدنز وهابرماس يشترك اهتمامهم بالمعرفة التي يمتلكها الفاعلون مفهوم الهابيتوس لبورديو والضمير العملي لغيدنز وعالم الحياة الظاهراتي لهابرماس."[29] اي أن للفاعلين ميولهم وأفكارهم وتوجهاتهم الايديولوجية التي استقوها من ميراثهم والتي توجه أفعالهم في تلك المواقف. فيرى كل من **بودون وبوريكو** أن لفهم فعل فردي من الضروري أن "نمتلك صورة عن مجتمعيته كما أنه ليس نتيجة آلية لها , ففي هذه الحالة لكي نفهم فعلا ما يجب الإحاطة بمقاصده وبصورة أعم بدوافع الفاعل والوسائل التي تتوفر لديه وكذلك التقييم الذي يقره الفاعل لهذه الوسائل ."[30]

على الرغم من تعدد الأطروحات والمقاربات التي تناولت الفعل الاجتماعي بالتحليل إلا أنها ترى بأن الفعل جاء لتجاوز البنية الاجتماعية, لأن الفعل محاط بمجموعة من الإكراهات

التي يفرضها النسق الاجتماعي ففيبر يعتبر الأخلاق البروتستانتية والتنظيم البيروقراطي هما الموجه والجانب المعرفي عند بورديو وغيدنز والتنمية والحداثة والذات الفاعلة هي المحرك .

"إذن يتكون المعنى في تفاعلات الأفراد من خلال العملية الاجتماعية ويبقى مرتبطا بقوة معها حتي في غياب الوعي وهو مرتبط بإيماءات الانسان وحركاته وإشاراته ولما تحمله من رموز أما مفهوم القوة يعرف من خلال العلاقة القائمة بين طرفين أو عدة أطراف فعلاقات القوة القائمة والمستمرة تبين أن المعايير التي يطورها المتفاعلون حتما في بناء العلاقة تمثل مصدرا أساسيا للمعاني المتداولة في العلاقة."[31] فالبراديغم الذي ينظر للفعل من زاوية التوازن التفاضلي هو مأسسة علاقة القوة القائمة مصلحيا على المعايير الاجتماعية والقوة حسب هذا البراديغم هي قدرة الفاعلين على فرض إرادتهم في علاقة معينة بموجب المصالح والمعايير الاجتماعية, **قوة + مصلحة+ معايير= توازن تفاضلي توازن باتجاه خدمة صاحب القوة.** [32]

فالقوة بالنسبة للفاعل تمثل مؤشرا هاما بالنسبة لحرية وكبح الفاعل فالحرية والقيد يمثلان متغيران هامين بالنسبة للفاعل الاجتماعي لأنهما مرتبطان بمقاصد الفاعل والاطر المرجعية" فالفاعل القوي يستطيع أن يختار بين البدائل عكس الفاعل الخاضع أو الضعيف الذي يمكن أن يختار بين بدائل محددة ...فحسب **ماركيوز** أن الحرية الإنسانية لا تقاس تبعا للاختيار المتاح للفرد وإنما ما يستطيع الفرد اختياره."[33] أن فكرة المفاضلة والاختيار بين البدائل لها علاقة بالمعايير التي تضفي عليه انتظاما, لأن النظام يتميز باستقرار نسبي والاستمرار لان المعايير نتاج اجتماعي لا فردي .

7- سيرورة عقلنة الفعل الاجتماعي من الماكرو إلى الميكروسوسيولوجي :

1-7 / العقلنة والأشكال الجماعتية و التطويعية عند ماكس فيبر

إن المتتبع للسيرورة التاريخية لعلم الاجتماع يلحظ طائفة من الآراء والأطروحات النظرية , والتي تبدو الخلافات بينها جذريا أحيانا بيد أن هذا التنوع في وجهات النظر مؤشر حاسم على الحيوية ومواطن القوة لا الضعف .ومن بين تلك الأطروحات مقاربة ماكس فيبر حيث تزامن بروز المجتمع الحديث في نظره مع ظهور تغيرات في الفعل الاجتماعي , أي أن الأفراد تحولوا

عن المعتقدات التقليدية التي تركز على الشعوذة والتفسيرات اللاهوتية إلى تبني أنماط تفكير تتسم بالعقلانية، وقد أطلق فيبر على ذلك مفهوم العقلنة **الترشيد** "ويقصد به تنظيم الحياة الاجتماعية على والاقتصادية انطلاقا من مبادئ الكفاءة المرتكز إلى المعرفة التقنية."[34] اي أن الانسان عرف تطور جعله ينتقل من مستوى التبعية إلى استقلالية الذات.

فإذا كانت المقاربات الوظيفية والصراعية تؤكد على أهمية البناء الاجتماعي و تأثيره على سلوك الفاعلين , فإن مقاربة الفعل الاجتماعي تهتم بدور الفعل والتفاعل بين افراد المجتمع , ويعتبر ماكس فيبر أول الداعين لمقاربة الفعل الاجتماعي " كل مظاهر السلوك الإنساني التي يضفي عليها الأفراد معنى ذاتي."[35] وبذلك فماكس فيبر يركز على الفهم التأويلي للمعنى الذاتي للفعل الاجتماعي مستعيضا عن الاحصائيات, كما يختلف بذل عن كارل ماركس الذي يرى بأولوية وحتمية العوامل المادية في إحداث التغير الاجتماعي وعن دوركايم في نزعته الراديكالية التي تعطي أولوية الضمير الجمعي وتأثير على توجيه السلوك , فنظرة فيبر للفعل ليست نظرة سيكولوجية كما في علم النفس الإدراكي والذهني لأن الفرد مفكر ومنتج لمعاني أي حالات الوعي و ترسباته البيولوجية أو بنيته الحسحركية كما عبر عنها جون بياجيه في نظرية بنية العقل المعرفية لديه, وإنما هو فعل اجتماعي متعلقا بسلوك الآخر والدلالة التي ننيطها بأفعالنا أي فهم الأنا في إطار الآخر, مع الأخذ بالحسبان تأثير الأوضاع والظروف الاجتماعية التي أنشأته, لأن الفاعل في حالة توقع دائم استراتيجية الفعل , لأن الفاعل يتحرك من الداخل - الذات - إلى الخارج نحو المحاكاة والتقليد والإنشاء, ومنه فأسس تحديد الفعل الاجتماعي كما يراها فيبر على النحو التالي[36]:**الفعل العقلاني الغائي** : من خلال توقعات سلوك الأشياء والعالم الخارجي وسلوك الاشخاص الاخرين والتوقعات بوصفها شروطا لغايات عقلانية. وهنا يقوم الفرد بموازنة بصورة عقلانية بين الوسيلة والغاية .**عقلاني قيمي:** من خلال الاعتقاد الواعي في قيم أصيلة أخلاقية أو دينية ولا علاقة لها بالنجاح أن الفرد يقوم بالفعل بغض النظر عن نتائجه فعل يتوجه وفقا لأوامر أو وفقا لطلبات يعتقد القائم بالفعل أنها مفروضة عليه **الفعل الانفعالي** : وذلك بفعل تأثيرات راهنة و حالات شعورية . وهو شخص يرضي احتياجه إلى انتقام عاجل أو تأمل روحي آني . **الفعل التقليدي** : من خلال العادة التي درج عليها الشخص .وهو ما يقوم به الحشد في الحياة اليومية من تصرفات .

حيث يعبر **فيليب راينو** أن عرض الأشكال الأربعة للفعل تقع على مجموعة اتصالية تمتد من السلبية إلى الايجابية في بداية برؤية خطية لعملية العقلنة... فعقلنة الفعل الاجتماعي كان غرضها تحطيم السلوكات التقليدية، يستلزم بان الذوات تصير بالضرورة أكثر استقلالية أي تقدم خطي من العاطفي إلى العقلي أي من التبعية إلى الاستقلال .[37]فحسب فيبر أن نمط الفعل الأكثر تمييزا للمجتمع الرأسمالي هو الفعل العقلاني الغائي ... بذلك يقدم فيبر مادة ذات مضمون تاريخي وهذا ما تكشفه أطروحاته, التي تناول فيها تطور الروح الرأسمالية الغربية وحركة العقلنة التي رافقتها أو الاخلاق الاقتصادية في الديانات العالمية مبينا دور الديانات في توجيه الممارسات اليومية لمختلف أوجه النشاط الاقتصادي. وكان السؤال المحوري حول خصوصية العالم الغربي حيال مصير المجتمعات, "إلى آية عوامل ينبغي أن نعزو ولادة العالم الحديث وعلى وجه التحديد نشوء الرأسمالية ؟ علام تقوم وحدانية الغرب ؟"[38] فيبر لم يضع العوامل الروحية في مواجهة المادية التاريخية, بل أن يوضح كيف تؤدي عملية تقويم العمل إلى عقلنة السلوك الاقتصادي لدى الشرائح الاجتماعية العليا والوسطى من رجال الأعمال.[39] يقول فيبر :"يتلخص هذا الواقع في أن رجال الأعمال وأصحاب الحيازات الرأسمالية, وكذلك ممثلي الشرائح العليا المصنفة من اليد العاملة, وفوق ذلك, الملاك التقني والتجاري ذا الثقافة الرفيعة في المؤسسات الحديثة, هم بأغلبية كبيرة من الطائفة البروتستانتية ."[40] كما يرى ريمون بودون أن كلمة عقلانية ومشتقاتها الأكثر تناولا في كتابات فيبر في تفسير الظاهرة الدينية ويميز فيبر بين العقلانية والعقلانية الأداتية إذ يتعين على العلوم الاجتماعية أخذ هذا التميز بعين الاعتبار في تفسير معتقدات الأشخاص .[41]

وعليه فعقلانية الرأسمالي هي نتاج الملامح الثقافية للأخلاق البروتستانتية التي هي حسب تصوره بمثابة نداء رباني يمزج بين مفهوم المهنة Beruf والتي تشير إلى ضرورة أن يضع الفرد أنشطته اليومية وشغله تحت سلطة الدين مع عدم استخدام المدخرات في الملذات الشخصية, وتعتبر هذه الفكرة هي صميم تحليل فيبر, يرى كلود ديبار " أن المعيار الحاسم الوحيد لفعالية العمل هو الحافز النفسي ويصبح بفضله, بوصفهBeruf أفضل وسيلة لضمان خلاصه...ولد السلوك العقلاني المتأسس على فكرة Beruf من روح التقشف المسيحي"[42] أطروحة فيبر إذ هي عبارة عن توافق بنيوي بين الأخلاق الطهرانية للمذهب الكالفني المؤمن أصحابه بسبيل الخلاص

عبر ربط المهنةBeruf بسلطة دينية وبين روح رأسمالية تتضمن حسن إدارة الاستثمار والحساب ..الخ فسيرورة العقلنة هذه جعلت من عمل المرء سبيل نجاته ووصوله لمرتبة الخلاص هذا الانتقال عبر السيرورة التاريخية من الأشكال الجماعاتية* إلى الأشكال التطويعية* *شكل هوية للرجل الاقتصادي الرأسمالي يتصف بالعقلنة في سلوكه لأن العقلنة هي المنظم الفعلي للحياة الاجتماعية والاقتصادية.

2-7/ الأفعال العقلانية واللاعقلانية في نظرية فلفريدو باريتو:

أقام باريتو نظرية عن الفعل الاجتماعي استندت على التمييز بين نمطين أساسين من أنماط السلوك الانساني, النمط الأول اسماه الفعل المنطقي (العقلاني) والثاني الفعل اللامنطقي (اللاعقلاني) " فالأفعال العقلانية تتميز بالملائمة الذاتية والموضوعية بين الوسائل والغايات لان الأفعال المنطقية تصف النطاق الاقتصادي بينما تشكل الأفعال اللاعقلانية حقل الأبحاث في علم الاجتماع"[43] أي أن الفعل العقلاني حسب باريتو يتكون من تطبيق المنهاج المنطقي المرتكز على المعرفة الإمبريقية والاستدلال الصحيح على اختيار الوسائل المحققة للأهداف المرجوة؛ فالفعل العقلاني يكون فيه تطابق ين الوسيلة والغاية في عقل الفاعل حيث يقول باريتو عن مكونات الفعل المنطقي: " هي تلك الأفعال التي ترتبط منطقيا بغاية معينة, لا بالنسبة أيضا للأشخاص الذين يقومون لها فحسب, وإنما بالنسبة أيضا للأشخاص الأخرين ذوي المعرفة الأكثر شمولا, إذن هو السلوك المنطقي ذاتيا وموضوعيا."[44] السلوكات الغير منطقية أربعة هي[45] :

أ. تكون مجردة من الغائية موضوعيا وذاتيا

ب. تكون مجردة من الأثر لكن يتم إدراكها من قبل الأشخاص لتصافها بغائية معينة .

ج. هذا النمط يتضمن نوعا آثارا موضوعية لكنها ليست نابعة من إرادة الشخص.

د. هذا النوع ينتج آثارا موضوعية لكن ليست التي يسعى إليها الفاعل المتحرك بوعي.

بما أن السلوك الغير منطقي هو السائد في الحياة البشرية فإن لهذه الأفعال جذور هي ما يسميه باريتو بالرواسب والمشتقات " الرواسب هي حالات عقلية ثابتة توجد في كافة المجتمعات

بالرغم من أن التعبير عنها يختلف ...وما من شك أن لها جذور نفسية وبيولوجية ومهمة علم الاجتماع هي تفسير هذه الرواسب ودورها في الحياة الاجتماعية"[46] وتصنف هذه الرواسب حسب باريتو إلى ستة أصناف هي :

غريزة التكامل (التركيب)- غريزة استمرار التجمعات – الحاجة للتعبير عن العواطف بسلوك خارجي – رواسب ذات صلة بالألفة الاجتماعية- تكامل الفرد وتابعيه- الراسب الجنسي.[47]

فغريزة التركيب تعني القدرة على التفكير والربط بين المفاهيم والأفكار والواقع الاجتماعي أما غريزة استمرار التجمعات فلها علاقة باستمرار العلاقات الاجتماعية بين الفاعل والآخرين سواء كانوا أحياء أو أموات وكذا علاقته بالمكان إضافة إلى التعصب الطائفي الديني مثلا أما الحاجة للتعبير الخارجي وهو صياغة التبريرات العاطفية والتعبير عن الأنا ومثال ذلك الاحتفاليات الدينية وغيرها أما راسب العلاقة المجتمعية والذي يعبر عن الألفة فإنه يشير إلى التضحية والاحساس بالسمو كما كان لدى محاربي الساموراي الياباني هذا الراسب شجع العامل الياباني على التفاني في عمله, وتكامل الفرد مع تابعيه وهي تشير إلى فكرة التوازن وف يحال حدث خلل تتم استعادة التوازن وهذه الفكرة أيضا استند إليها بارسونز وأخيرا راسب الجنس .

إن تصنيف باريتو لهذه الرواسب يجب أن نأخذ في الاعتبار المحيط الاجتماعي والثقافي لأن هذه الرواسب تتغير بتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية للفرد كما أنه ركز على مفهوم الغريزة ذلك البعد في النفس البشرية التي هي ميل الفرد إلى إقامة رابطة بين الأشياء والأفكار والتي تظهر في شكل حاجات يسعى لتلبيتها وتعتبر مفهوم الغريزة أو الراسب كما أسماه باريتو هو أساس نظريته.

أما مفهوم الصفوة – النخبة- والتي تعني "تمايز الأفراد المنتمين إلى مجال من المجالات الحياة الاجتماعية "[48] بهذا التعبير أن النخبة هي فئة قليلة يتصف أفرادها بأنهم حققوا نجاحا في الأعمال التي يمارسونها, وباريتو ركز على الصفوة في شقها السياسي والاقتصادي, فتنقسم الصفوة حسبه إلى صفوة حاكمة وتتألف من الذين يديرون شؤون البلاد وصفوة غير حاكمة وتتألف من الجماهير, وفي كتابه العقل والمجتمع, "لا يهتم باريتو بتوزيع سمات معينة بل إلى التعارض القائم بين

الذين يملكون مقاليد السلطة وهم الصفوة الحاكمة والذين لا يملكون وهم الجماهير "[49].وهذه الأطروحة تختلف عن أطروحة ماركس التي تركز على الصراع الطبقي الذي يحق بسبب المتغيرات الاقتصادية وحدها غير كاف لأن الصفوة المتحدثة باسم البروليتاريا هي التي ستنجح وليس البروليتاري ذاتها.

3-7/ نظرية الاختيار العقلاني:

يؤمن أصحاب نظرية الاختيار العقلاني كما يقول إيان كريب لفكرة وجود المجتمع إلى حد التعصب ... إذ حاول هذه النظرية بناء أشكل ونماذج سوسيولوجية لما يقوم به الفرد في حال تصرفه بعقلانية في موقف معين, إضافة إلى الجانب النفعي لأن الفاعل حسبهم يختار ما يجلب له أكبر قدر من المنفعة, وهذا منطلق من قصد الفرد.[50] اي أن رغبات الفرد ومقاصده هي التي تبرر فعله, إضافة ان تعظيم المنافع له بعده الاقتصادي في نظرية الاختيار العقلاني خاصة الاقتصاد الكلاسيكي لأن في تصورهم الانسان كائن عقلاني يحاول على أساس المنفعة في علاقاته الاجتماعية او التنافسية مع الآخرين إلى تعظيم المكاسب والمنافع وتقليل الخسائر وبالتالي فإن الفعل وسارات اتخاذ القرارات تأخذ في الاعتبار الكلفة وندرة الأشياء.

ففي الممارسة الاقتصادية يؤسس المنهج الحدي حججه على الخيارات العقلانية التي تقف وراء الأفعال لان النشاط الاقتصادي يقتضي الاختيار المقصود بين مجموعة الأهداف على أساس الوسائل لان الفعل الاقتصادي يقتضي الموازنة بين الافعال والأشياء لأنه لا ينتج نتيجة لمجرد اشباع الحاجات لان المنفعة هي موضوع الرغبة لدى الفاعل .[51]

والمبادئ الأساسية لنظرية الاختيار العقلاني هي :1/إن تفسير ظاهرة اجتماعية معينة يكون بإظهارها نتيجة منطقية لمجموعة قضايا كل منها مقبول في حد ذاتها

2/إن وجود إحدى النظريات السوسيولوجية يتوقف على تفسيرها الظاهرات الاجتماعية كلها دون استثناء على أنها نتيجة مجموعة من الأعمال الفردية3/ينبغي تحليل الأعمال الفردية انطلاقا من كونها عقلانية.[52] وقد لاقت نظرية الاختيار العقلاني نجاحا تجلى في تفسير عدد من الوقائع الاجتماعية على سبيل المثال في أعمل توكفيل أو الحرب الباردة...وغيرها.

4-7/ عقلنة استعمال التقنية والسلوك: التنظيم العلمي للعمل لدى فريدريك تايلور:

تعتبر الأبحاث التي قام بها تايلور لعقلنة السلوك في العمل والبحث عن أفضل طريقة في الاشتغال وذلك عن طريق إدخال تغييرات بهدف عقلنة طرق وأساليب العمل بغية زيادة الإنتاج مع خفض التكاليف, حيث تذهب نظرية الإدارة العلمية إلى" أن التنظيمات عبارة عن أنساق عقلانية – تتصف بالعقلنة- ذات أهداف محددة وتفترض أن العامل يستطيع أن يحدد أفضل الطرق لإنجاز العمل وتحقيق أعلى درجة من الكفاءة التنظيمية."[53]وبالتالي فمفتاح هذا الاطار النظري هو التميز الفاصل بين المفهوم والتنفيذ " إن أي عمل مهما كان يحتاج دائما إلى عمليتين {...} تهدف إحداهما إلى مفهوم العمل أو تنفيذه وتهدف الأخرى إلى التحقيق المادي له, فالأولى عملية فكرية والثانية عملية يدوية{...} وبالتالي فعقلنة المؤسسة وتنظيمها يعني تخفيض النشاطات فيها إلى ذلك المحتوى الذي يكون فيه التنظيم العلمي للعمل. "[54] ومبادئ الادارة العلمية – بعد خطوات منهجية تمت- كما يراها تايلور, "يجب التوصل إلى اقصى حد من تقسيم العمل مع دراسة الزمن والحركة وكيفية تسييره بهدف التوصل إلى الطريقة الأفضل لأداء العمل إضافة إلى التأكد من أداء العمل وسرعته ونوعيته الوسائل المستخدمة وهذا عبر الإشراف الدقيق والمخطط, أما نظام الحوافز فيكون على أساس القطعة اي كلما زاد عدد القطع زاد الأجر"[55] ما تناولها تايلور بالبحث والدراسة على مستوى تنظيمات العمل الصناعي زودنا برؤية نظرية و أمبريقية حول واقع البيئة التنظيمية , فقد أكدت تجارب تايلور بأن حل المشكلات المرتبطة بالصناعة وتحقيق الأهداف الاقتصادية للتنظيمات الصناعية يتطلب عقلنة لظروف وشروط العمل.

5-7/ عقلنة القرارات في التنظيم هربرت سايمون:

اهتمام هربرت سايمون بهذا البعد في التنظيم إذ يرى بأن العملية الادارية سيرورة من القرارات يندمج فيها الفاعلون في المؤسسة وهذا يتطلب تنسيق السلطة والكفاءة والمسؤولية حيث يرى أن مفهوم العقلانية المحدودة أن تكون القرارات منسجمة مع أهداف التنظيم إذ يتعين على صاحبها أن يقدر بشكل جيد ماهي البدائل المتوفرة ويجب أن يكون عقلانيا غير أن

هذه العقلانية في نظره محدودة وهذه الكلمة عقلانية لوصف قرار غير كاف بل يتوجب أن تضيف لها صفة تدل عليها .كما يصنفها الباحث لحبيب معمري[56]:

أ. **قرار عقلاني بشكل موضوعي:** إذا كان يجسد التصرف الصائب الذي يحقق أعلى قدر من القيم في وضعية معينة.

ب. **قرار عقلاني بشكل ذاتي:** يوفر أعلى قدر ممكن من الحظوظ لبلوغ الهدف بالنظر إلى المعرفة الحقيقة التي يملكها صاحب القرار حول الموضوع .

ج. **قرار عقلاني بشكل واعي:** تكيف الوسائل بالمقارنة مع الأهداف هو عملية واعية

د. **قرار عقلاني بشكل مقصود:** مادام أن الفرد أو التنظيم اختاروا هذا التكييف عن قصد

ه. **عقلاني من وجهة نظر التنظيم:** إذا كان القرار يخدم الأهداف التي يسطرها التنظيم

و. **عقلاني من وجهة نظر الفرد:** إذا كان القرار يتماشى مع نوايا الفرد

أن هذه الصفات التي ألزمت بعقلانية القرار هي تعبير عن طبيعة القرارات كسلوك ناتج عن فاعل أو التنظيم في وضعيات مناخ تنظيمي يحيط بصناعة القرار ومن خلال هذا يتضح أن عملية اتخاذ القرار بهذا التصور لها جانب متعلق أساسا بقدرات الفرد ومعرفته الكامنة ومقارنته بين البدائل وجانب متعلق بالتنظيم تتمثل في البيئية التنظيمية للمؤسسة في حد ذاتها.

من خلال هذا يعتبر سايمون السلوك العقلاني أنه نتيجة لعمليات اتخاذ القرارات حيث ميز بين نوعين من العقلنة :

ز. **العقلنة الموضوعية :** هو السلوك الصحيح أو المثالي لتعظيم المنفعة والذي يفترض وجود تفضيلات محددة للإنسان وكذلك معلومات كاملة في البدائل ونتائجها المتوقعة.

ح. **العقلنة الشخصية:** وهو السلوك لتعظيم المنفعة في ضوء المعلومات المحدودة المتاحة للإنسان وآخذا في الاعتبار القيود المختلفة التي تحدد قدرة الإنسان على الاختيار الأمثل.[57]

وبالتالي في نظر سايمون يجب أن نميز بين الجوانب العقلانية والغير عقلانية في السلوك الاجتماعي في التنظيم.

فالرشد المحدود (العقلنة المحدودة) وهي تبحث عن سلوك الناس الذين يقنعون بأقل من الحد الأقصى للمنفعة لأنهم لا يستطيعون الوصول لهذا الحد [58],"أن وراء كل الأعمال والتصرفات التنظيمية عملية اختيار وهذا الاختيار يسبق الأداء الفعلي"[59]

أن موضوع اتخاذ القرارات لا يتوقف على المتغيرات الداخلية للتنظيم بل جانب من الاختيار يتحدد وفق للظروف البيئية السائدة لأن المجتمع أحيانا يحد من البدائل المتاحة, إذ يربط سايمون بين اتخاذ القرارات والتأثير (نفوذ أعضاء التنظيم) منه تكون السلطة متغير أساسي في السلوك التنظيمي وهنا تؤثر فئة الاطارات على المنفذين.

7-6/ التحليل الاستراتيجي عند ميشال كروزي :

وضع كروزي وزميله فريدبرغ نوع جديد من التحليل السوسيولوجي " التحليل الاستراتيجي لنسق الانساني في التنظيم" لأن الفرد لا يتفاجأ بطبيعة الضغط الذي مرسته التوجهات النظرية للمدرسة الكلاسيكية التي تعتمد على التحفيز عن طريق العوامل المادية – تركز على الربح- أو مدرسة العلاقات الانسانية التي ترى التحفيز في أنماط السلوك, في مقابل ذلك فسوسيولوجيا التنظيم تؤيد أن الفرد كفاعل ينظم الحقل التنظيم كما يتمتع بدرجة من الحرية والعقلانية والاستقلالية الداخلية, فكروزي يرى أن التنظيم لا يخضع للعوامل الخارجية أو الأفراد لأن الأفراد يبنون استراتيجيتهم تبعا للألعاب السلطة, فمفهوم اللعب يدل على الآلة , أساسيات (الفعل, التنظيم..) فاللاعب يوفق بين الحرية والإكراهات لأن اللاعب يبقى حرا لكي يشارك مما يجعله يكيف استراتيجية عقلانية مع وظيفته إضافة لاحترامه لقواعد اللعب.

والتحليل الاستراتيجي للتنظيم مؤسس على ثلاث دعائم للانطلاق وهي[60] :

أ. ان الأفراد لا يوافقون على أن يعاملوا كوسائل بسيطة للوصول إلى هدف محدد لتنظيم

ب. في التنظيم كل الفاعلين يتمتعون بحرية نسبية, فالفاعلون يسعون لتأليف استراتيجية خاصة مع الأخذ بعين الاعتبار الألعاب والسلطة لاستعمال هوامش المناورة النسبية والمأخوذة دوما من التنظيم من أجل زيادة تأثيرهم -سلطتهم- وبسط مسؤوليتهم .

ج.الفاعلون عقلانيون لكن عقلانيتهم محددة بالزمن والامكانيات وترتيبهم للوسائل لذا سيرتاحون للوصول إلى هدف نهائي ألا وهو الرضا .

والمفاهيم الأساسية للتحليل الاستراتيجي هي كالآتي:

أ. **نسق الفعل الملموس:** هو مجموع العلاقات الغير رسمية التي بطبيعة الحال كموضوع بين أعضاء التنظيم من أجل حل المشاكل اليومية الملموسة لهذا فالبناء الاجتماعي لا يتكهن بالتطور المعياري للتنظيم الذي يوحي بأهمية وظيفة النسق.

ب. **منطقة اللايقين (منطقة الشك):** منطقة اللايقين ملازمة لكل تنظيم ويرتبط هذا المفهوم بتعاريف نسبية حول التنظيمية لهذا السبب من أجل أن الحديث عن هذه المنطقة تكون مرتبطة بالجانب التقني , الاقتصادي , التجاري أو أخرى, وهي متاحة دون ضغوط لكن فرص الفاعل تهيء المنفذين والأعضاء لنتائج : كنوع من الاستقلالية, التأثير للحصول على السلطة في التنظيم .

ج.**السلطة :** التعريف الكلاسيكي للسلطة هي سلطة "أ" على "ب" وحجم الحصول بالنسبة لـ " أ" حيث "ب"في مواجهة بعض الأشياء دون تدخل "أ" هذا التعريف ميكانيكي ونحن نادي على سلطة أ والاعتراف بسلطته من قبل ب .

والتحليل الاستراتيجي يقدم شرحا يميز بين أربع مصادر للسلطة التالية :

الأولى تتعلق بسلطة المعرفة أي ملكية الكفاءة والتخصص الوظيفي مع صعوبة التبديل صعوبة تبديل التخصص الوظيفي .

الثانية تتعلق بالتحكم في العلاقات مع البيئة في هذه الحالة الفاعل يستعمل في التنظيم علاقاته مع منظمات أخرى لاستراتيجية نهائية.

الثالثة تتعلق بالاشتراك في شبكة الاتصال, فكل فرد بحاجة للمعلومة من أجل التصرف, فالمعلومة تشكل أكبر قيمة استراتيجية.

الرابعة تتعلق بالتحكم في تطبيق القواعد التنظيمية في المؤسسة والتي تعد معقدة ومتعددة. [61]

من خلال هذا العرض الموجز لأطروحة كروزييه أنه توصل إلى استخلاص مفاده أن تحديد الفاعل للموقف يشكل الفعل الذي يتخذه وتفسيره للآخرين , كما أن الرموز العامة للشرعية التي تخلقها القيم يتم تدعيمها وتقويتها للإحساس المشترك بحرص الجماعات ...ويرى كروزييه أن الأفراد داخل التنظيمات يمثلون واقعا اجتماعيا وهذا الواقع قابل للتغيير وفق تعريفات جديدة تظهر أثناء الممارسة الفعلية والمستمرة لعملية التفاعل.

الهوامش:

1 محمد قاسم القريوتي, **نظرية المنظمة والتنظيم**.ط3, دار وائل, الأردن, 2008,ص219.

[2] - عبد العزيز إبراهيم التويجري ,**البيئة الداخلية ومستوى الأداء في الأجهزة الأمنية**. رسالة ماجستير غير منشورة, أكاديمية نايف للعلوم الأمنية,الرياض,2003 .ص 12

[3] - نفس المرجع , ص 12 .

[4] - ناصر محمد ابراهيم السكران, **المناخ التنظيمي وعلاقته بالأداء الوظيفي**.رسالة ماجستير غير منشورة,جامعة نايف للعلوم الامنية,الرياض 2004, ص 30

[5] - خليل محمدة حسن الشمماع, خضير كاظم حمود, **نظرية المنظمة**.ط1,دار المسيرة, الأردن,2000, ص189.

[6] - عبد العزيز بدر النداوي ,عولمة **إدارة الموارد البشرية نظرة استراتيجية**.ط1,دار المسيرة, الأردن,2009,ص125.

[7] - المرجع السابق ,ص131.

[8] - عيسى حيرش, **الإدارة الاستراتيجية**.ط1, دار الهدى, الجزائر, 2012,ص 92.

[9] - عبد الرزاق بن حبيب, **اقتصاد وتسيير المؤسسة**.ط5,ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 2013, ص40-41.

[10] - محمد قاسم القريوتي , مرجع سابق, ص 320.

[11] - عبد الكريم غريب, المنهل التربوي : **معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية**. ج2 , منشورات عالم التربية , المغرب, ط 1 , 2006 , ص 808 .

[12]- Scott (J.), **Sociology the key concepts**. 1st published , Routledge , New York ,2006, p138.

[13]- Kalberg (S.),**Max Weber's types of rationality:Cornerstones for the analysis of rationalization processes in history.** The American journal of sociology, Vol 85,No 5, Mar1980,p1148.

[14]- Ibid. p 138.

[15]- Kalberg (S.),Op.cit .p 1149-1150 .

[16] - [16]- Boudon (R.), Bourricaud (F.), **A critical dictionary of sociology**. Translated by: Peter Hamilron,3ED,Routledge , Britain,2003, p 285

[17]- Ibid, pp62

[18] - مالك بن نبي , **مشكلة الثقافة**.ط4 , دار الفكر , دمشق , 2000 , ص 24 .

[19] - خليل أحمد خليل , **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع**. ط1, دار الحداثة, 1984 , ص 205 .

[20] - دينكن ميتشل , **معجم علم الاجتماع** .تر: إحسان محمد الحسن , ط2 , دار الطليعة , لبنان , 1986 , ص 171-172 .

[21] - عبد الكريم غريب, مرجع سابق , ص 808 .

[22] - أحمد زكي بدوي, **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**.ط2 , مكتبة لبنان , بيروت , 1982 , ص 346 .

[23]- Quivy (R.), Campenhoudt (L.), **Manual de recherche en sciences sociales.** 4eme Ed, Dunod ,Paris,2011,p 40-41.

[24] - إبراهيم طلعت لطفي , **كمال عبد الحميد الزيات , النظرية المعاصرة في علم الاجتماع** .ط1 , دار غريب ,القاهرة, 1999 , ص 30.

[25] - شافا فرنكفورت نشمياز, دافيد نشمياز, **طرائق البحث في العلوم الاجتماعية**. تر: ليلى الطويل , بترا, سوريا, 2004, ص 48 .

[26] - ميشال دبوا, **مدخل إلى علم الاجتماع العلوم**. تر: سعود المولى,ط1 , المنظمة العربية للترجمة, لبنان,2008,ص 108 .

[27] - نعمان عباسي , **مقاربات علم الاجتماع بين التكامل والتعدد دراسة تحليلية في طبيعة المعرفة السوسيولوجية بين وحدة العلم وخصوصيات الواقع** . أطروحة دكتوراه, كلية العلوم الاجتماعية , جامعة منتوري , قسنطينة , 2010/2011,ص 109. دراسة غير منشورة.

[28] - نفس المرجع, ص 111-123.

[29] - جون سكوت , **علم الاجتماع المفاهيم الأساسية**. تر: محمد عثمان, ط1 , الشبكة العربية للأبحاث, بيروت, 2009, ص 203- 206.

[30]- فرنسوا بوريكو, ريمون بودون, **المعجم النقدي لعلم الاجتماع**. تر: سليم حداد, ط1, ديوان المطبوعات الجامعية, 1986,ص 423- 424 .

[31] - **محمد عبد الكريم الحوراني, النظرية المعاصرة في علم الاجتماع،ط1, دار مجدلاوي,الأردن,2008 , ص26-27 .**

[32] - نفس المرجع , ص 261 .

[33] - نفس المرجع , ص 271-273 .

[34] - أنتوني جيدنز , **علم الاجتماع** . تر: فايز الصياغ , ط 4 , المنظمة العربية للترجمة , لبنان , 2005 , ص 72.

[35]- Weber (M.),**Economie et société: Les categories de la sociologie** .Traduit par Julien freud et autres, Tome 01, Ed 03, Pocket , 2010 , p 27- 28 .

[36] - ماكس فيبر, **مفاهيم أساسية في علم الاجتماع** . تر: هلال صلاح, ط1, المركز القومي للترجمة, القاهرة,2011 , ص 53-56 .

[37] - فيليب راينو, **ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث**. تر: محمد جديدي, ط1,منشورات كلمة, الإمارات العربية المتحدة,2009,ص 195-199 .

[38] - لوران فلوري, **ماكس فيبر**. تر: محمد على مقلد, ط1, دار الكتاب الجديد المتحدة ,لبنان , 2008,ص36 .

[39] - نفس المرجع , ص 54 .

[40]- Weber(M.),**The Protestant Ehtic and the Spirit of Capitalism.**Translated by Talcott Parsons,Second Edition,Routledge,New York,2005,p03.

[41] - ريمون بودون , مرجع سابق , 157-161 .

[42] - كلود ديبار , **أزمة الهويات : تفسير تحول**.تر: رندة بعث,ط1 ,المكتبة الشرقية, لبنان, 2008 , ص 72 .

[*]= يشير مصطلح **الأشكال الجماعاتية Vergemeinshaftung** العلاقات الاجتماعية المبنية على الشعور الذاتي (فعل تقليد أو انفعالي) أما مصطلح **الأشكال التطويعية Vergesellshaftung** وهو العلاقات الاجتماعية المبنية على التراضي أو تنسيق المصالح معللة عقليا.انظر كلود ديبار مرجع سبق الإشارة إليه , ص 61 .

[43] - ريمون بودون ,فرنسوا بوريكو,**المعجم النقدي لعلم الاجتماع**.تر: سليم حداد,ط1 , ديوان المطبوعات الجامعية,الجزائر,1986,ص 92.

[44] - محمد علي محمد, **تاريخ علم الاجتماع**.ط2 , دار المعرفة الجامعية, مصر, 1983, ص 242-243 .

[45] - ريمون بودون ,فرنسوا بوريكو,المرجع السابق , ص 92 .

[46] - محمد علي محمد, مرجع سابق ,ص258.

[47] - ريمون بودون, فرنسوا بوريكو, ص 93 .

[48] - بوتومور توماس, **الصفوة والمجتمع**. تر: محمد الجوهري وآخرون, ط1 , دار المعرفة الجامعية, مصر , 1988,ص26.

[49] - المرجع السابق , ص 27 .

[50] - إيان كريب, **النظرية الاجتماعية : من بارسونز إلى هابرماس**. تر:محمد حسين غلوم, ط1 , المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب , الكويت,1999 , 112- 113.

[51] - جاك هارمان, **خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية**. تر: العياشي عنصر, ط1,دار المسيرة,عمان,2010, ص 125.

[52] - ريمون بودون , مرجع سابق , ص 85.

[53] - طلعت إبراهيم لطفي, **علم اجتماع التنظيم**.ط1, دار غريب, القاهرة,2007,ص 96.

[54] - برنار موتيز , **سوسيولوجيا الصناعة** .تر : بهيج شعبان ,ط 1 , منشورات عويدات , لبنان , 1974 ,ص14,15.

[55]- Taylor (F.) , TAYLOR Frederic Winslow, **La direction scientifique des entreprises,** traduit par Luc Maury ,1[ere] ed , Dunod , Paris , 1965,p193,264.حاولت هنا أن ألخص ما جاء في الفصل الخامس لأن المقام هنا ليس التوسع أكثر في النظرية .

[56] - لحبيب معمري ,مرجع سابق ,ص 43-44 .

[57] - علي السلمي, **تطور الفكر التنظيمي**.ط1, دار غريب , مصر ,ص 193 .

[58] - نفس المرجع , ص 193.

[59] - نفس المرجع , ص 196.

[60]- Roger(A.),**L'essentiel de la théorie des organisations**.1ere Edition,Gualino,Paris,2006,p73.

[61]- Op.cit ,p 74.